فصل تمهيدى

إذا أردت أن تكون تعيسا
فلتتزوج

obeikandl.com

obeikandl.com

"إذا أردت أن تكون تعيسا فلتتزوج !"

- هل حقيقى من يتزوج تلازمه التعاسة دوما؟
- هل يندم البعض بالفعل بسبب إقدامه هذه الخطوة ؟!
- هل الزواج نظام مجتمعى فاشل كما نسمع من الكثيرين؟!
- هل العيب فينا أم فى النظام الزواجى أم فى المجتمع؟

لا أدرى ما السبب فى ترديد هذه المقولة على مسامعنا بكثرة فى الآونة الأخيرة.. والغريب أن من يتقول بها معظمهم من الشباب.. وفى السن التى اعتدنا على زيادة رغبتهم وقبولهم على الارتباط فيها.. حتى أن البعض كان يندفع فى اختيارات خاطئة ويحاول الآباء إثناءه عنها دون جدوى.

ماذا حدث بحق السماء لبناتنا وأبنائنا الذين انعكست عليهم آفات المجتمع التى نحاول جاهدين إصلاحها.

فإذا نظرنا إليهم بعين العدل نرى أنهم لديهم حق بل كل الحق حين يتفوهون بذلك ولو حتى من باب المزاح للتنفيس عن أرواحهم.

فلو نظرنا بجدية حولنا سنجد كما هائلا من حالات الطلاق فاق الحدود، بطريقة لم تحدث فى أى وقت مر بنا.

ولو نظرنا أكثر سنجد الملايين من حالات العزوبة والعنوسة

منتشرة بيننا.. وسنجد أيضا حالات زواجية مستقرة ولكن معظمهم على مضض بسبب تمسكهم بهذا الارتباط الذى عانوا كثيرا حتى حققوه، أو بسبب بقايا حب جمعهما فى يوم ما، أو – وهذا أقوى الأسباب – بسبب وجود أبناء بينهما.

ألم نقف مع أنفسنا ونتدارس حالات هؤلاء ومحاولة الوصول لما أضحوا عليه، لماذا نأخذ معظم المسائل بالتسطيح ولا نحاول التعمق فى جذورها؟ ألم يكن من تنهار حياتهم أمامنا هم أولادنا أنتركهم هكذا ولا نحرك ساكنا إلا مصمصة الشفاة!

لماذا لا نمد لهم يد المساعدة قبل أن يغتال أحلامهم وأفكارهم كم المتناقضات الغريب التى يعيشونها.

لماذا لا نحاول أن نوضح لهم الصورة كاملة قبل أن يفاجئوا بها وبحجم المسئوليات التى ستلقى على كاهلهم؟

لماذا لم نوضح لهم أن الزواج ليس فستان زفاف ورحلة شهر عسل وكلمات معسولة وآمال وأحلام يمكن أن تؤجل إلى مالا نهاية إذا لم نسعَ لتحقيقها بل هو شىء مقدس ورابطة قوية تربط بين روحين وجسدين وعقلين وقلبين على أن يتحمل كل منهما مسئولياته على أكمل وجه.

لماذا نتركهم يحلمون ويحلمون ويتخبطون حتى يستيقظوا على واقع مرير غير مؤهلين له فيستيقظون على حياة قاتمة بدلا من الوردية

التى حلموا بها !.. فالعيب كل العيب يقع علينا وليس عليهم وحدهم، وقبل أن نحاسبهم لابد أن نحاسب أنفسنا لأننا لم نكن قدوة فى يوم من الأيام لهم ولم يروا الاستقرار والسعادة تشمل أركان حياتنا وإلا ما أصبحوا هكذا! أو لم نؤهلهم لهذا بالطبع سيمارسون حياتهم مثلنا دون أن يدروا لأن هذا زرع فيهم منذ الصغر، فعلامَ نحاسبهم ونلومهم على فشلهم؟! فالسعادة تورث والتعاسة تورث !

فلماذا نلومهم عندما يتقولون بتلك العبارة أو بعبارات شبيهة بها سواء من باب المزاح أو بجدية.. حقيقة تلك المقولة استفزتنى وأيضا آلمتنى ووجدتنى مندفعا للبحث عن الأسباب وعن الحلول وعن كل شىء ورأيت أن هناك أسبابا ربما تكون سببا فى تعاسة هؤلاء وسنحاول أن نقف عليها محاولين تبتيدها ولنتناولها تباعا.

- **هل فعلا الزواج مرادف للتعاسة ؟!**

أرى أن السبب الأول والأساسى وراء انتشار تلك المقولة هو "ضيق ذات اليد" .. فالحالة المادية للشباب وأزمة البطالة وغلاء الأسعار والحصول على مسكن بالكاد، وطلبات أهل العروس، والزواج بصفة عامة من شبكة ومهر وجهاز والتى لايتنازل أحد عن أقل القليل من طقوسها، جعل الشباب يلهثون وراء حلم مستحيل.

وحتى إذا ساعدهم الأهل فى تحقيق هذا الحلم فغالبا مرتباتهم لاتكفى إيجار شقة الزوجية والذى غالبا ما يكون من نوع الإيجار بالنظام " الجديد" لعدم استطاعتهم دفع خلو للإيجار القديم والذى

انقرض، أو الحصول على شقة من شقق الشباب التى توفرها الدولة بسبب ارتفاع مقدمتها وأقساطها بالنسبة لهم .. ناهيك عن بعدها عن أماكن عملهم والتى تحتاج هى الأخرى لميزانية مواصلات .

فكيف لهؤلاء أن ينعموا بحياة زوجية سعيدة، الممنوعات فيها أكثر من المبيحات بسبب الماديات، وماذا لو أنجبوا طفلا فى بداية حياتهم؟! ومن الذى سيحل لهم لوغاريتمات المرتب إن وجد! ومن أين تأتى السعادة إذن فى ظل هذه الظروف ؟! .

والسبب الثانى وراء انتشار هذه المقولة هو "الكم الهائل لحالات الطلاق" التى نسمع عنها وخاصة بين صغار السن والتى غالبا ما تكون مترتبة على السبب الأول، وعدم استيعاب الشباب للمرحلة الحرجة التى يعيشونها وعدم وجود قوة احتمال لديهم للكفاح والبناء فهم دوما يريدون أن يبدأوا من حيث انتهى الآخرون !.

والسبب الثالث والذى نوهنا عنه كم المشاحنات والمشاجرات المستمرة بين الآباء والتى يعيشها الأبناء منذ الصغر وتنعكس على حالاتهم النفسية والتى هى غالبا ما تكون بسبب الضغوط التى يعانيها كل من الأبوين فى الداخل والخارج والمنغصات الحياتية التى تواجههما والتى يشعر معها الأبناء بمدى سوء هذا النظام الحياتى!.

والسبب الرابع والذى قد لا يلتفت إليه الكثيرون منا للأسف هو انعدام التربية الأسرية وعدم الوقوف على كل كبيرة وصغيرة فى حياة الأبناء وتوجيههم الوجهة الصحيحة بسبب انشغال الأبوين بعملهما،

وبالجانب المادى الذى يريدان توفيره لهم غافلين عن حاجة أبنائهم لمن يبنى وجدانهم وعقلهم أكثر ممن ينمى أجسادهم، وأصبحت الثقافة التليفزيونية والدشية والأنترنتية التى ندفع أبناءنا إليها هى السائدة، والغريب أننا أحيانا نتندر ونقول عن الأبناء "جيل تكنولوجى"، والذى نغفل عنه أنه لو لم نستخدم هذا الحصار التكنولوجى صح لحدث العكس تماما وما أدراك ما وراء ذلك! ونحن فى غفلة من أمرنا.

والسبب الخامس يتمثل فى حالة الانحلال التى تسود الشارع بصفة عامة وفساد الأخلاقيات، مع المغريات التى تقدمها وسائل الإعلام والتى تجعل الشباب يعرضون عن الزواج أو يبحث بعض ضعاف النفوس منهم عن مثيلات لمن يرون متناسين دينهم وما يدعون إليه فتفشل حياتهم، ويعلقون الأسباب على شماعة الزواج.

والسبب السادس ويكمن فى الضعف الجنسى والذى يعانيه بعض الشباب، والذى غالبا ما يكون نفسيا بسبب الضغوط التى يتعرضون لها ونحن نعلم جميعاً أن الجنس منبعه المخ، فكيف لمخ مثقل بكل تلك الهموم أن يتجه فى مثل هذا الاتجاه، مما جعل معظم هؤلاء يتناولون المنشطات الجنسية والتى بعد فترة قصيرة تصل بهم لعجز مرضى، ولو لاحظنا الصحف اليومية والإعلانات لدهشنا من الكم الهائل من الإعلانات عن المنشطات الجنسية ومراكز العلاج لهذا النوع المرضى والذى كان نادراً ما نسمع عنه فى الماضى.

والسبب السابع والأخير ألقت به الظروف على كاهلنا فلا نحن علمنا أبناءنا تحمل المسئولية، ولا أصبحنا قدوة لهم، فماذا تفعل هذه الأجيال الهشة وسط كل هذه التخبطات، لابد لهم من الفشل إذا لم نأخذ بيدهم، ولابد لهم من الفشل إذا لم يتواءموا مع ظروف الحياة، ولابد لهم أن يتعففوا ويعرضوا عن الزواج ويندبوا حظهم واصفينه بالتعاسة! .

والسؤال الذى يجب طرحه الآن وماذا بعد ؟! ألا يستحق الزواج أن نجاهد من أجله ؟!

ألم يستوقفنا حديث الرسول ﷺ الذى يقول فيه: " من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان، فليتق الله فى النصف الباقى". (١)

ألم يقل سبحانه وتعالى :﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩].

ألم يحث الدين الإسلامى متمثلا فى القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ على التزاوج حتى يتحقق إعمار الكون، وحتى يستطيع الإنسان أن يشبع غرائزه بصورة مشروعة، فغريزة الجنس من أقوى الغرائز وأعنفها، وهى تلح على صاحبها دائما ولابد من إشباعها حتى لايصاب الإنسان بالقلق والاضطراب، وما من سبيل لإشباعها إلا بالزواج حتى تسكن النفس، ويكف النظر عن التطلع للحرام، ويتجه إلى ما أحل الله.

---

(١) صحيح الجامع حسن الألبانى (٦١٤٨).

وأيضاً إشباع وإرواء غريزة الأبوة والأمومة التى فطرنا عليها بإنجاب الأبناء وتحقيق التواصل مع الإشباع العاطفى والوجدانى الذى نحن فى حاجة ماسة إليه ويعيننا على الحياة، فما بال كل هذا لايتحقق إلا بالارتباط والزواج ، فكيف نراه التعاسة بعينها.. ألم يغفر كل ما نحققه من خلال الارتباط بعض المشاكل الحياتية التى نعانيها..ألا شيء فى الوجود يساوى الاستمتاع بالأمومة والأبوة.. أيمكن أن ننسى أن الزوجة سكن للزوج وحرث له وشريكة لحياته وأم لأولاده وموضع أسراره.. أيمكن أن ننسى أن الزوج هو الراعى والأب الحنون والحامى والمظلل بجناحيه على أفراد أسرته.

إذا كان البعض قد أخطأ فى الاختيار فليس معنى هذا أن العيب فى نظام الزواج ولكن العيب فى الأشخاص .

وإذا كان السبب المغالاة فى المهور وكثرة النفقات التى تجعل الشباب يعرضون عن ذلك .. فأيضاً العيب فى الأشخاص والأسر وليس فى نظام الزواج الذى حث عليه الإسلام .

وإذا كان تبذل المرأة وخروجها بهذه الصورة المثيرة ألقى الريبة والشك فى مسلكها وجعل الرجل حذراً، فالعيب ليس فى الزواج ولكن فى البعد عن التعاليم الإسلامية فيما يتصل بالتربية والتنشئة، وهناك الكثيرات من الملتزمات والمتمسكات بأوصال دينهن.

وإذا كانت بعض الأسر خرجت عن سماحة الإسلام وسمو تعاليمه فعقّدوا الزواج ووضعوا العقبات فى طريقه مما أطاح بأحلام

شبابنا وشباتنا وبعثر آمالهم، فليس العيب فى الزواج ولكن العيب فيهم.

وإذا كنا نعانى الآن من أطفال بلا نسب تقف أمهاتهم على أبواب المحاكم يتسولن نسبا لأبنائهن، فليس نظام الزواج هو السبب ولكن تصرفاتهن غير المسئولة هى السبب.

وإذا كان الشباب يلجأون إلى الزواج العرفى والسرى حتى يتهربوا من المسئوليات التى لم يستطيعوا تحملها، فليس نظام الزواج هو السبب ولكن المسئوليات التى لم يستطيعوا احتمالها هى السبب !.

ومن هنا فسبيلنا الوحيد للسعادة هو اتباع أساليب ديننا الحنيف السمح فى كل أمور الحياة، ومنها الزواج الذى لم يترك فيه جزئية إلا وأوضحها، وهذا ما حاولت أن أوضحه وأبرزه ثانية فيما هو آت .. وأنا أعلم أنه موضوع ليس بجديد ولكن لابد أن نذكر المتناسين، ونوضح الأمور للمتآمرين على إسلامنا الذى لم يترك أمراً إلا أوضحه .. وكيف أنه حث الشباب على الزواج ورغبهم فيه وأوضح لهم كيفية اختيار الزوجة والزوج ووضع شروطا للزواج السعيد بداية من شرط الكفاءة ونهاية بالعقد وخلافه..فما خاب من اتبع طريق الهدى وما خسر .

وإذا كنت قد اخترت لكتابى هذا العنوان ، فقد اخترته فقط لألفت نظر الشباب إلى أهمية الزواج ولألفت نظر الآباء إلى وجوب

تسهيله وعدم تعقيد الأمور وترغيب الأبناء فى الزواج وعدم تنفيرهم منه أسوة برسول الله ﷺ وتنفيذا لتعاليم القرآن الكريم .

ولكى أصحح تلك المقولة وأوضح أنه :

" إذا أردت أن تكون سعيداً فلتتزوج ! "

فالزواج بركة وهو سنة من سنن الله فى الخلق والتكوين، وهو الأسلوب الذى اختاره لنا الله لتعمير الكون واستمرار الحياة وأعد كلا من الزوجين وهيأهما للقيام بالدور المنوط بهما .

وقد قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾

[النساء:١] .

وقال تعالى:﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[الذاريات:٤٩]

ولهذا قد نهانا الرسول ﷺ عن الإعراض عنه ونهانا عن التبتل والانقطاع عن الدنيا.. وخاصة أن ديننا دين معاملة ودين حياة صالحة تصل بنا إلى حسن العاقبة، وقد رغب خيرة شباب الصحابة فيه ، فأين نحن منهم ؟!

***